الإنسان الأعلى وفلسفة المطرقة

م.د.فراس كريم جاسم

كلية الإمام الكاظم (ع) للعوم الاسلامية الجامعة

قسم الفكر الإسلامي

Email:itb5@alkadhum-col.eduiq

الكلمات المفتاحية: نيتشة ؛ القراءة التفكيكية ؛ الإنسان الأعلى؛ اللوغوس؛ افلاطون

ملخص :

مستفيدًا من بعض الفلسفات حاول نيتشة من خلال فلسفة المطرقة أن ينصب نفسه طبيبًا نفسيًا؛ لمعالجة من أسماهم المرضى، ممن وقع أسيرًا للقيم التي رسخها الكهنة والفلاسفة، وفي مقابل أكاذيبهم أراد التبشر بقيم أخرى مغايرة أقرب إلى الحقيقة على فرض وجودها أصلًا وإمكان التوصل إليها إن وجدت، بات الوجود عنده مجرد لعبة، ولا معنى لتصور إله ميتافيزيقي يخطط لمجريات الأمور فيه. ولكن إخضاع طروحات نيتشة لفلسفة المطرقة نفسها يؤدي إلى تفكيكها هي الأخرى.

The Supreme Man and Philosophy of Hammer

Dr.Firas kareem Jasim
Imam Al-Kadhim (peace be on him) University College
Department of Islamic Thought and Doctrine
Email:itb5@alkadhum-col.eduiq

Key words: Nietzsche, reading Superman, Desconstructive, Logos, Plato

Abstract

With the aid of some philosophies, Nietzsche tries through his philosophy of the hammer ; to treat those he calls patients – who were taken by values of priests and philosophers. As a reacthion to their lies he wanted to preach other different values that are closer to truth ; supposing it exists and can be reached if it exists. Existence to him was only a game . The perception of a god that plans things is meaningless to him . However ; philosophizing with a hammer when applied to his theses will destroy the theses themselves.

مقدمة :

على الرغم من أن البحث يتناول فلسفة مفكر اعترف بأنه "يفعل ما بوسعه لأجل أن يصعب فهمه"[١]؛ فإن النتائج وطريقة العرض ستكون تبسيطية قدر الإمكان حتى لغير المتخصصين [٢]؛ ولما كانت مقولة الإنسان الأعلى ؛ جوهر الفلسفة النيتشوية ؛ استلزم ذلك المرور على أغلب الطرح النيتشوي ليتسنى فهمها كما أراد هو أن يسوقها لا كما يفهم منها ظاهرًا؛ فمقولات نيتشه اختلف في تأويلها وأثارت جدلًا واسعًا لما ينتهي بعد ؛ لغموضها ولتناقض بعضها ظاهرًا مع جوهر الفلسفة النيتشوية التي يفترض أنها تسعى إلى تجاوز الميتافيزيقا .

اولا :- التدمير (Demolition) :

شبه نيتشه هجومه التدميري على الأفكار المضادة بـ " اندفاع المطرقة فوق الحجر ؛ تلك المطرقة التي تهوي بضرباتها القاسية على سجن الإرادة فتتناثر أحجاره "[٣]. فالأيديولوجيات الراسخة والمهيمنة على قدر كبير من الصلابة بحيث يصعب خلخلة الاطمئنان لها واليقين بها ؛ فهي عند الأغلبية (بديهيات لا يرقى إليها الشك)؛ لذا وجب أن يكون التدمير بمستوى الحدث حتى يتم إنجاز المهمة على أكمل وجه .

وفي محاولة منه لإرجاع الفكر إلى حالته الأولى (ما قبل التلوث بالمعتقدات الدوغمائية كما يفترض)؛ يحاول نيتشه أن يقوم بـدور" الطبيب أو المعالج النفسي "[٤]؛ الذي يضع العلاج المناسب لما أسماه الأمراض البشرية ؛ وهي الأفكار المضادة للحياة بحسب وصفه؛ لاسيما **الأفلاطونية المسيحية** (يعتقد نيتشه إن الفلسفة الغربية أفلاطونية بنكهة مسيحية)؛ ولخطورة المهمة كان لازاماً أن يتم التعامل معها بالمقدار الكافي من القوة ليتسنى تحطيمها ؛ هي **فلسفة المطرقة** التي يراد منها تدمير ما ترسب من أفكار "سلبية" تحولت إلى أديان وفلسفات وأتباعها يشكلون "الأغلبية" .

وبحسب نيتشه فإن المسيحية بالذات هي " الكارثة الأكبر التي عرفتها الإنسانية إلى الآن "[٥]؛ لأنها كما يقول "اخترعت كلمات ومواقف بهية لتلبس الواقع البشع رداء الألوهية والفضيلة والقانون "[٦] ؛ وبغض نيتشه للمسيحية يبدو جلياً في أغلب

مؤلفاته ؛ لأنها كما يفترض سيطرت على العالم بأفكارها الفاسدة بمساعدة من أفلاطون ؛ فما " هيأ الظروف لها للهيمنة على العالم القديم ؛ أخلاقيته ؛ وليس فساد أخلاقه ؛ فقد قام أفلاطون من خلال (التعصب الأخلاقي) بتدمير الوثنية وذلك بتحويل قيمتها؛ إن ما تم تدميره هناك كان شيئا راقياً ؛ إذا قارناه بما ساد لاحقاً ! – لقد انبثقت المسيحية عن الفساد النفسي ؛ وضربت جذورها في أعماق تربة فاسدة "[٧].

فما قبل سقراط(لاسيما الحضارة الإغريقية)- بحسب نيتشه- أفضل بما لا يقاس من الفكر الفاسد الذي جاء لاحقاً متجسداً ب(المسيحية الأفلاطونية) والذي هيمن على العالم القديم وأصبح المركز(المركزية الغربية التي كانت موضوع التفكيك الأهم في فلسفة جاك دريدا) .

فالحضارة الأغريقية- بحسب نيتشه- ؛ هي " التي تمنح الفلسفة(بشكل عام) شرعيتها؛ وهي التي تملك امتياز تحديد المطلوب من الفيلسوف "[٨] ؛ وفي ذلك يميل إلى أن منشأ الفلسفة يعود إلى الغرب (اليونان على وجه التحديد) وعليه فإن " حكم الفلاسفة الإغريق القدماء على قيمة الوجود له وزن أكبر بكثير من الحكم المعاصر؛ لأنهم عاشوا حياة مزدهرة تماماً؛ ولإن عقولهم ؛ بخلافنا ؛ لم تكن مشوشة بسبب الانشطار بين الرغبة إلى الحرية ؛ الجمال ؛ والعظمة من جهة ؛ ومن الجهة الأخرى ؛ الحافز نحو الحقيقة ؛ الذي يسأل فقط (ماهي القيمة الحقيقية للوجود إجمالًا)؟ "[٩].

ويستثني أفلاطون من مدحه هذا فهو بالنسبة له :" الهجين الأول الكبير ؛ وتجد هذا في شخصيته كما في فلسفته . إن نظريته حول المثل تجمع عناصر سقراطية وفيثاغورية وهيرقليطية ؛ لذلك فهو لا يمثل نموذجاً خالصاً "[١٠] ؛ فظهور الفلاسفة الإغريق منذ سقراط بحسبه يعد : " علامة إنحطاط ؛ فقد أصبحت الغرائز المضادة للهيلينية هي السائدة ..."[١١].

ويركز نيتشه على هيرقليطس في مدحه وتبني خطابه وفلسفته لاسيما الصيرورة وتفسير ما يجري في الوجود على أنه مجرد ((**لعبة**)) وكما سنرى لاحقاً.

وبعد أن يقوم نيتشه بوصفه طبيباً بتشخيص المرض ؛ يقترح علينا العلاج المناسب للقضاء عليه ؛ فإذا ما تم التعافي والإستيقاظ من الغفلة ؛ يضع لنا جرعات (أفكار) تقوية تعيد للمريض المبتلى حيويته ؛ فبدلاً من كراهية الحياة والإعراض عنها ؛ يحل حب الحياة والرغبة المؤكدة فيها وتمني الإستمرار والتلذذ بسحرها ؛ وعليه كان **سقراط** من أكثر الشخصيات الفلسفية التي صب نيتشه جام غضبه عليه ؛ حيث وصفه وأفلاطون بأنهما : "عرضي انحلال ؛ أداتين للتفكك الإغريقي ؛ إغريقيين مزيفين ونقيضين للإغريق "[١٢]؛ وسقراط كان " منحط "[١٣] و " شيطان"[١٤].

وأمام ما يسميه (استبداد الغرائز في عصر سقراط) كان على المرء أن يبتكر طاغية معاكساً أقوى ؛ وليس هذا الطاغية سوى سقراط نفسه فقد كان بحسب نيتشه : " يثير الإعجاب كحالة قصوى (لهذا الانحلال) ؛ قبحه المثير للفزع ينطق بحالته لكل العيون : كان يثير الإعجاب بصفة أقوى ؛ كما هو بديهي ؛ كجواب ؛ كحل ؛ وكمظهر مرئي لعلاج هذه الحالة "[١٥].

مع(سقراط) بدأ التحول المأساوي كما- يفترض نيتشه – نحو (اللوغوس) كملاذ ومنقذ لا مهرب منه ؛ إذ حدثت النقلة الأكثر شؤماً على البشرية : من الغرائز الحيوية وحب الحياة ؛ إلى سيادة العقل وبغض الحياة ؛ وتصنع الزهد وإن كان رياء ؛ وسوف يلتقي هذا الفكر السقراطي الأفلاطوني مع الأخلاق المسيحية بجوانب كثيرة ؛ وعليه يمكن اعتبار التدمير النيتشوي بمثابة نقلة ثورية في تأريخ الفلسفة كما كان الجدل السقراطي في حينه ؛ ويتبدى ذلك جلياً في الفلسفات التي سادت من بعده؛ فحضوره أصبح واضحاً و جلياً ؛ في فلسفات ما بعد الحداثة و مابعد الحداثة ؛ لاسيما الوجودية المعاصرة والتفكيكية؛ وتأثر به كبار المفكرين المعاصرين أمثال فوكو وهيدجر ودريدا .

حينما سئل سقراط عن معنى إسم (ديونيسوس) ؛ أجاب : " هو ببساطة (ساقي الخمر) ؛ كما يمكن أن يسمى في حالة المرح (انيوس) لأن الخمر يجعل الذين يشربونها يظنون أن لهم عقلًا ؛ وفي حين إنه ليس عندهم شيئاً من العقل "[١٦]؛ هجوم

سقراط هذا على ديونيسوس بوصفه سبباً لسلب العقل لعله من أهم أسباب غضب نيتشه عليه ؛ فإله الخمر والمرح هو موضع تقدير واحترام لديه ؛ وكان يدعو في فلسفته إليه ويعبده ؛ لأنه-بحسب نيتشه- الوحيد من يستحق العبادة؛ فهو الضد الإثباتي للعدمية المسيحية السقراطية ؛ هو السمو مقابل الانحطاط ؛ إذ إن المسيحية بحسب نيتشه : "عدمية في جوهرها ؛ بينما يبلغ الإثبات حده الأقصى في الديونيزية ."[١٧] ويقول " لا أعرف رمزاً أرقى من هذا الرمز الديونيزي ؛ داخله تكتسي الغريزة الحياتية الأعمق ؛ غريزة مستقبل الحياة وديمومتها ؛ صبغة دينية في إحساس الناس ؛ ويكون التناسل طريقاً مقدساً إلى الحياة ؛ وحدها المسيحية ؛ بما تحمله من ضغينة عميقة ضد الحياة جعلت من الجنس دنساً : لقد لطخت بالوحل شرط حياتنا الأول"[١٨].

ولا يكتفي نيتشه بهذا المدح بل يذهب إلى إعلان نفسه " آخر تلامذة الفيلسوف ديونيزوس وأنه بذلك ؛ معلم العود الأبدي "[١٩]. ويتماهى هذا الوصف مع المهمة التي تصدى نيتشه للقيام بها (الهدم ومحاولة التغيير)؛ فالديونيزوسية بحسب نيتشه "**الرغبة** في الهدم ؛ في الصيرورة والتغيير؛ وقد تكون تعبير عن قوة المستقبل الضخمة الوافرة "[٢٠].

ويبرر نيتشه التحول الذي أحدثه سقراط كنتيجة منطقية لا مفر منها؛ فأمام استبداد الغرائز في ذلك الوقت : " كان المرء مضطرًا لأن يجعل من العقل طاغية ؛ فإن الخطر لن يكون هيناً أن يتحول شيء آخر أيضاً إلى طاغية ؛ لقد تم اعتبار المنحى العقلي آنذاك منقذاً ؛ ولم يكن لا لسقراط ولا لمرضاه خيار في أن يكونوا **عقليين** ؛ كان ذلك أمراً محتماً ؛ وكان ذلك وسيلة علاجهم الأخيرة "[٢١] .

علاج آني وبسيط وليس بالنهائي أو الحاسم ؛ العلاج الوحيد بحسب نيتشه هو الارتقاء بالبشرية وتجاوز الانحطاط الذي تعيش .

إن وصف نيتشه لأتباع سقراط بالمرضى ليس عفوياً ؛ إذ أكد أكثر من مرة إن من يتعامل معهم من أتباع (المسيحية الأفلاطونية) ليسوا سوى مرضى نفسيين ؛ في المقابل وصف نفسه ب (**الخبير النفساني**) ؛ يقول " إن هؤلاء الأخلاقيين الذين

يرغبون **الإنسان** قبل كل شيء وبالأساس على السيطرة على نفسه يثيرون لديه **مرضاً شاذاً** : سرعة انفعال دائمة من كل الميول وكل الحركات الطبيعية "[٢٢].

و**العقل** من أهم **الثنائيات الميتافيزيقية** التي تسعى فلسفة المطرقة إلى **تفكيكها** ؛ فإذا ما انتهى عصر طغيانه (كما يأمل نيتشه) حلت الغرائز الحيوية المرتبطة بالجسم محله ؛ فهي-بحسبه- حقيقة **الإنسان** وجوهره لا ما رسخه "المخادعون" من أوهام العقل المجرد ؛ فا**لجسم** المبدع عنده هو من " اخترع العقل لخدمته كساعد يتحرك بإرادته "[٢٣].

و**الإنسان** المدرك من يرى بإنه "عبارة عن **جسد لا غير** ؛ وما **الروح** إلا كلمة أطلقت لتعيين جزء من هذا **الجسد** وهذا الجسد لا يتبجح بكلمة أنا لأنه هو **(أنا)** ؛ هو مضمر الشخصية الظاهرة ."[٢٤]

ويذهب نيتشه بهذا التوجه بعيداً ويؤكد: " الروح مجرد **رمز للجسد** وهي تسعى إلى الارتقاء ؛ وأما الصفات التي ندعوها فضيلة فهي رموز ؛ فالجسد هو من يقطع مسافات التاريخ بكفاحه ؛ من غير أن يكون للروح أي دور في انتصارات الجسد ؛ فإذا كان الجسد صوت فإن الروح هي الصدى "[٢٥] .

وهو بهذا يرد على الخطاب السقراطي الذي جعل من النفس والعقل جوهر وأساس **الإنسان** وأن الجسم هو شيء ثانوي ؛ إذ كان يقول " إن النفس سابقة على الجسم ؛ وإن الجسم مشتق ويأتي في المرتبة الثانية ؛ وإن النفس تحكم بمقتضى النظام الحقيقي للأشياء ؛ وإن الجسم موضوع للإرادة والقيادة ؛ وكذلك أحوال العقل وعاداته ورغباته وحساباته والأحكام الصائبة والأهداف والذكريات ستكون جميعًا سابقة على أطوال الأجسام وعروضها وأعماقها ؛ بفضل أسبقية النفس ذاتها على الجسم"[٢٦].

وعليه يشتكي نيتشه من ما أسماه "عداء الفلاسفة للحواس بشكل غادر وأعمى "[٢٧]: رغم أن " كل مقولات العقل مستنبطة من العالم التجريبي فهي حسية بالأصل "[٢٨].

إن هذا الخلاف بين (سقراط ؛ أفلاطون) من جهة ونيتشه من جهة أخرى هو جوهر الفلسفة النيتشويه بالكامل و كما سنرى لاحقاً"[٢٩] .

بالنتيجة ؛ فإن أهم ما انتقده نيتشه في الأفلاطونية المسيحية ؛ وسائر الأديان السماوية؛ إنها جعلت من (الروح / العقل) جوهر الإنسان وماهيته الحقيقية؛ فالخلود والبقاء يرتبط هنا بالروح لا بالجسد الفاني؛ في مقابل (الجسم / الحواس) بوصفها ؛ اشتقاق ثانوي ؛ وبحسب نيتشه فإن إخضاع هذه المعتقدات لفلسفة المطرقة ؛ سيؤدي إلى (تدميرها)؛ فأغلب المفاهيم الميتافيزيقية ؛ ليست إلا كلمات أطلقت على (لا شيء تقريباً) ؛... تأجيل الحكم إلى أن يتم تحديد مدلول نهائي وحقيقي لها(**الإرجاء** كما في تفكيكية جاك دريدا) ؛ فما يطرح هو بناء من الكلمات (دوال) وهي خاضعة لتفسيرات ؛ فكل دال يشير إلى تفسير وليس إلى مدلول ؛ وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الكلمات وجدت لنفسها مركز الصدارة في الفلسفة الكلاسيكية الميتافيزيقية ؛ لم يكن الغرض من إطلاقها الإشارة إلى موضوع حقيقي وملموس (يؤكد نيتشه) ؛ وأهم هذه الكلمات : (الله .. الحقيقة .. الروح .. العقل .. الأخلاق .. الفضيلة .. الخير .. الوجود) ؛ كان الناس كما يقول نيتشه يطلقون ما يشاؤون من أسماء ... أسماء مجردة وعاجزة عن إثبات المسمى ؛ : " يكفي أن نخترع أسماء جديدة ؛ تقديرات ؛ إحتمالات جديدة لنبدع (أشياء) جديدة "[٣٠].

والبحث الجينيالوجي(البحث عن المصادر لا عن أصل أول حقيقي فنيتشه لا يؤمن بوجود ذلك الأصل)؛ وحده الكفيل بكشف زيفها ؛ فهي مجرد أوهام يفترض من يطلقها أنها تشير بالفعل إلى حقيقة ما؛ غير أن وجود الكلمة لا يعني بالضرورة وجود ما تشير إليه؛ إلا بالتحقق من ذلك الوجود حسيًا؛ (لاحقاً التقى هذا التوجه مع الوضعية المنطقية) على أن يقوم بهذه المهمة فقهاء اللغة .[٣١]

فليست **الكلمات** –بحسب نيتشه–: " إلا **رموز** للعلاقات التي تقيمها الأشياء فيما بينها ؛ وتلك التي تقيمها معنى ؛ لذلك فهي لا تؤدي أبداً إلى الحقيقة المطلقة ؛ وحتى كلمة **(وجود)** لا تحدد إلا العلاقة الأكثر عمومية التي تربط كل الأشياء ؛ ومثلها مثل كلمة**(لا وجود)**. ولكن إذا كان من المستحيل أن نبرهن **وجود الأشياء** ؛ نفسه فإن علاقة الأشياء فيما بينها ؛ ما نسميها (الوجود) و(اللاوجود) ؛ لا تدفعنا هي الأخرى خطوة واحدة نحو أرض الحقيقة ؛ إننا لن ندخل أبداً بواسطة **الكلمات والمفاهيم** ؛ وراء حائط العلاقات ولا داخل أي عمق أصلي ووهمي للأشياء . وحتى من خلال الأشكال الصافية للاحساس والإدراك ؛ من خلال المكان ؛ الزمان والسببية ؛ لا نحصل على شيء قد يشبه **الحقيقة الأبدية** ..."[٣٢].

وليست " **الكلمات** الموضوعة للدلالة على مفاهيم من قبيل **الخير و الشر** سوى **رموز** فهي **تشير** إلى الأمور ولا **تعبر** عنها بالضرورة ؛ ولا يطلب المعرفة فيها ومنها إلا المجانين (يؤكد نيتشه) ."[٣٣]

فقد " أقام الناس مفاهيم ؛ فابتدعوها لأنفسهم (نتاج عقل الإنسان ممكن التفكيك بالنتيجة) ؛ وما أكتشفوها ولا أنزلت عليهم بهاتف من السماء؛ لقد وضع الإنسان للأمور أقدارها من أجل أن يحافظ على نفسه ؛ فهو الذي ابتدع للأشياء معانيها الإنسانية ...؛ ما الكنوز والجواهر إلا أشياء أرادها تقدير الإنسان جواهر وكنوز ؛ فما القيمة المفترضة إلا اعتبار ؛ ولولا التقدير لما كان الوجود إلا قشوراً لا نواة فيها ؛ إن قيمة الأشياء تتغير تبعًا لتحول اعتبار الموجد؛ ولا بد لهذا الموجد من أن يهدم في كل حين ؛ ما خلق من مفاهيم في كل عصر "[٣٤].

كتب أحد تلامذة نيتشة(ميشيل فكو) كتاباً بعنوان (الكلمات والأشياء) في ذات السياق؛ وتبنى (جاك دريدا) هذا التوجه فكان التفكيك النيتشوي بهذا الصدد فاتحة بحوث أشهر فلاسفة ومفكري (مابعد مابعد الحداثة).

إن النتائج المترتبة على ذاك أعادت النظر بجميع القضايا الميتافيزيقية؛ بما في ذلك المفاهيم الأكثر (قداسة) فيما مضى؛ بوصفها مفاهيم لا تملك ما يبرر مكانتها

عبر العصور ؛ مفاهيم متعالية من قبيل (الله ؛ الروح ؛ العالم)؛ أصبحت خاضعة للتدمير ب (مطرقة نيتشه) وللتفكيك عند (جاك دريدا) ؛ فهذه المفاهيم ليست إلا كلمات(دوال) لا تشير إلى (مدلول) بعينه وإنما تحيل إلى دال آخر ؛ وهذا بدوره يحيل إلى دال وهكذا إلى الدال الأول؛ وليس إلى مدلول أصلي (هذه الكلمات لا تحيل إلا إلى نفسها) مخلفة الأثر(كما في تفكيكية جاك دريدا) ؛ وعليه لا معنى حقيقي لهذه الكلمات فضلًا عن أن تكون لها قدسية ؛ وعليه فإن فلسفة نيتشه ومن تأثر بها لاحقاً ؛ سلبت عن العالم كل ما كان يتمتع به من عقلانية أو غائية ؛ فلا مقدس بعد موت الإله (نتحدث عن لعبة بكل ما للكلمة من معنى).

سبق لأفلاطون أن بحث عن إمكانية معرفة حقيقة الوجود من خلال اللغة وكلماتها ؛ وبحث عن سبب التسميات المختلفة بين لغة وأخرى ؛ وعن علاقة الاسم بالمسمى أو الدال بالمدلول؛ (هل هنالك علاقة منطقية بينهما أم اعتباطية)؛ وطرح عدة نظريات منها أن (**الآلهة**) هي التي أطلقت الأسماء الأولى (**اللغة الأصلية**) ؛ أو أن أقوام قديمة هي مصدر التسميات : جيلًا بعد جيل "[٣٥].

فجاء موقف نيتشه بهذا الخصوص بما يشبه الرد على هذه النظريات ومحاولة تفنيدها ؛ إذ يقول " لا نريد العودة على ما نعده متجاوزاً و قديماً ؛ شيء لا نعده جديراً بالإيمان ؛ مهما يكن الإسم الذي نطلقه عليه : الإله ؛ الفضيلة ؛ الحقيقة ؛ العدل ؛ محبة القريب ؛ لا نريد أن نفتح سبيلًا مزيفة تقودنا على مثل أعلى قديم "[٣٦].

ويرفض نيتشه فكرة وجود تفسير واحد للأشياء لاسيما الوجود ؛ بل هنالك بحسبه؛ تفسيرات كثيرة أو حتى لامتناهية : " العالم عندنا مطلق فهو يحتوي على عدد لا متناهي من التفسيرات ولا معنى لتأليه العالم المجهول ؛ فهنالك كثير من الإمكانيات غير الإلهية للتفسير "[٣٧].

وإن " لا تناهي التأويل ؛ يؤدي إلى إزدياد العالم عمقا" وآفاق جديدة ؛ سوف تفتح أمام **الإنسان** وقد لا يبدو لنا ؛ ذات يوم ؛ أكثر الأفاهيم مهابة ؛ تلك التي دارت عليها أشد الصراعات وتكبدت من اجلها أشد المعاناة ؛ أي افهوما (الله) و(الخطيئة) ؛

أكثر أهمية مما تبدو **لعبة اطفال** وما يبدو ألم أطفال لرجل عجوز – وربما سيكون (بالرجل العجوز) وقتذاك حاجة من جديد إلى **لعبة** أخرى وألم آخر ؛- وهو لم يزل طفلًا بما فيه الكفاية ؛ طفلًا أبدياً !"[٣٨].

وكان نيتشه يكتب بطريقة الشذرات (يشبه أستاذه هيرقليطس) وقال متحدثاً عنها : " إن شذرة ما ؛ سكبت وصبت كأحسن ما يكون ؛ لا يكفي أن تقرأ حتى تفك طلاسمها ؛ إذ ربما عندئذ فقط يجب أن يبدأ تأويلها ؛ وهو ما يتطلب فناً في التأويل"[٣٩].

وينتقد نيتشه تفسير **(الإنسان العادي)** للعالم ؛ إذ يقول " لقد فسرنا العالم الذي نحيا فيه بشكل خاطىء وكاذب بسبب احترامنا للأشياء التي منحناها القداسة(أي حسب حاجة ما).... الحقيقة غير ذلك تماماً؛ فالعالم بحقيقته لا إلهي .. لا أخلاقي ... لا إنساني ؛ **الإنسان** حيوان يحترم الأشياء المقدسة ؛ بيد أنه يحذرها أيضاً : إن العالم في الواقع لا يساوي ما اعتقدنا أنه يساويه ؛ هذا هو أيقن شيء تقريباً أمكن لحذرنا أن يفهمه ؛ على قدر الحذر تكون الفلسفة "[٤٠] .

قد لا يساوي شيئًا إن كان مجرداً من المعنى وليس له غاية أو أن يكون مصير **الإنسان** فيه(بوصفه جسداً مادياً) إلى التراب ؛ لا قيمة له إن كان الإنسان فيه مجرد حيوان؛ وهو مصير البشر بحسب نيتشة بإستثناء من يفوز بجائزة **(العود الأبدي)** وهو امتياز حصري **للإنسان الأعلى** دون غيره كما سنرى لاحقاً.

لقد وصف نيتشه نفسه بالديناميت ولكونه مبدع و لأن المبدعون " وحدهم القادرين على التدمير"[٤١]؛ فإن التدمير كان منهجه الفلسفي في محاولة قلب القيم – كل القيم : تفسير العالم ؛ مركزية العقل ؛ تهميش الطبيعة ... بل الميتافيزيقا بكافة اشكالها تشكل الهدف الأول **للهدم النيتشوي** ؛ وإن كان هدم نيتشه نفسه قابلًا هو الآخر **للهدم** ؛ وخاضع لفلسفة المطرقة ؛ فتدمير **(قيم)** بعينها والتبشير بقيم أخرى مغايرة لها؛ يعني بقاء نيتشة ضمن دائرة الاعتقاد نفسها؛ بضرورة أن يؤمن الإنسان ب (**قيم**) ما ؛ ولا يستطيع نيتشة إثبات هذه الضرورة من خلال منهجه وإنما

سيضطر مكرهاً للاستعانة بالمنهج الكلاسيكي الذي يريد تهديمه لتبرير هذه الضرورة ؛ وعليه فإن نيتشه سيكون ضحية أخرى من ضحايا الهدم الذي بشر به .!

فمفهوم (**القيم**) ميتافيزيقي ويتضمن بالضرورة أن يحيل هذا المفهوم إلى مدلول حقيقي أو أصلي ؛ ونتيجة ذاك تتناقض مع الزعم السابق بإن إعطاء كلمة بعينها لقيمة لا يعني أنها كذلك بالضرورة ؛ ثم من يحدد أهمية القيم وأفضلية بعضها على بعض ؛ والحال إن نيتشه استنكر أن يكون هذا الأمر من حق **الإنسان** أو أنه يملك القدرة على ذلك ؟؟!! .

الحقيقة إن نيتشه لا يناقض نفسه في هذا لسبب؛ وهو أنه ميز بين أنواع من البشر ؛ وأعطى للسوبرمان (**الإنسان الأعلى)** حق التفسير الأقرب للحقيقة وأن يعطي للقيم استحقاقها وهو-أي نيتشه- منهم ؛ إن لم يكن الأرقى والأفضل بالقياس إلى غيره ممن يستحق وصف **الإنسان الاعلى** ؛ فمطالبة نيتشه بقلب القيم تتدرج ضمن هذا السياق تحديدًا .

إن التوجه نحو تفسير وهمي للعالم بحسب نيتشه ؛ تفسير يعتقد بوجود **عالم-الحقيقة** يعد هو الأساس وأن العالم حيث نعيش؛ ليس إلا مرحلة انتقالية كما تبشر(الأديان السماوية) أو مزيف بتعبير (نظرية المثل الأفلاطونية) ؛ ألزم **الإنسان الأعلى** أن يحطم كل هذا التزييف الميتافيزيقي **بمطرقة العود الأبدي** بوصفه التعبير الحقيقي **لإرادة القوة.**

ثانيا: الإنسان الأعلى (Superman) [٤٢] :-

يميز نيتشه بين أربع أنواع من البشر :

الأول : من هم بمرتبة الحيوان و على درجات متفاوتة : من القرد إلى الديدان والحشرات نزولًا.

الثاني [٤٣]: ويضم الإنسان العادي الذي يبقى كما هو بدون ارتقاء أو تسافل .

الثالث : وهو الإنسان الذي يتوفر على مقومات الارتقاء والذي بإمكانه التفوق على ذاته وهو المعني بخطاب نيتشه الإصلاحي الراديكالي ؛ وهو مرحلة انتقالية بين الإنسان العادي والإنسان الأعلى .

الرابع : **(الإنسان الأعلى)** ؛ وهو الإنسان المتفرد ؛ الذي تجاوز الآخرين ؛ و عرف الحقيقة كما هي بدون تزييف ؛ (زرادشت/ نيتشه ؛ واحداً منهم) وبإمكانه التأسيس لديانات جديدة بوصفه نبياً وهو فيلسوف المستقبل وقائده وهو أيضاً –بحسب نيتشه– " معنى الأرض وروحها"[٤٤]؛ و "إنسان ما وراء الخير والشر"[٤٥]؛ و "الصاعقة التي بشر بها زرادشت "[٤٦] .

وهو "الحقيقة" مقابل "وهم" الآلهة عند نيتشه : " لقد تجلى **الإنسان الأعلى** لعيني في هذا الخيال الطارق فمالي وللآلهة بعد"[٤٧]؛ " فالناس كانوا يتلفظون باسم الله ؛ حينما كانوا ينظرون إلى شاسعات البحار؛ أما الآن فقد تعلمتم الهتاف باسم **الإنسان الأعلى** ؛ لأن **الله** افتراض ليس إلا "[٤٨].

و**الإنسان الأعلى** من أهم المقولات النيتشوية ؛ الذي تجده حاضراً في معظم مؤلفاته الفلسفية ؛ ويصفه على لسان زرادشت بإنه " من سيرث الأرض " [٤٩]؛ فهو إنسان المستقبل الذي بشر به زارا :" إنني آت بنبأ **الإنسان الأعلى** ؛ فما الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه ؛ فماذا أعددتم للتفوق عليه ؟ إن كلًا من الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه ؛ وأنتم تريدون أن تكونوا جزراً يصد الموجة الكبرى في مدها ؛ بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة **الحيوان** بدل إندفاعكم للتفوق على **الإنسان**؛ وهل القرد من **الإنسان** إلا سخريته وعاره ؟ ؛ لقد اتجهتم على طريق مبدؤها **الدودة** ومنتهاها **الإنسان** ؛ غير انكم أبقيتم على جل ما تتصف به ديدان الأرض ؛ لقد كنتم من جنس **القرود** فيما مضى[٥٠] ؛ على أن الإنسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديته ؛ .... لقد أتيتكم بنبأ **الإنسان الأعلى**"[٥١] .

ذلك **الإنسان** الذي " يخلق من خلال التسامي الكبير بوعي الإنسان"[٥٢]؛ وهذا التفوق هو" مقياس الحرية لدى الأفراد والشعوب ؛ تقاس الحرية ؛ بمدى المقاومة ؛

وضرورة التغلب على الذات ؛ وبمدى الجهد الذي يتطلبه البقاء في مرتبة المتفوق ؛ وعلى من يريد العثور على النموذج الأرقى للإنسان الحر أن يبحث عنه هناك حيث تجري على الدوام مغالبة لأقوى أنواع المقاومة "[٥٣] .

فما الإنسان (العادي)-بحسب نيتشة- " إلا كائن وجب عليه أن يتفوق على نفسه "[٥٤] ؛ ويؤكد في موضع آخر: "ما الإنسان إلا كائن وجب عليه أن يتفوق على ذاته "[٥٥] .

والذات عند نيتشه كينونة **الإنسان** وحقيقته : " إن وراء الإحساس والتفكير يكمن سيد أعظم منهما سلطاناً ؛ لإنه الحكيم المجهول ؛ وهذا الحكيم إنما هو **الذات** بعينها المستقرة في جسدك بعينه أيضاً "[٥٦].

وعليه فإن التفوق على الذات ليس بالأمر السهل وغير متاح للجميع ؛ بل لفئة من البشر بعينهم دون سواهم ؛ الفئة التي عرفت أحقية الطبيعة والجسد ولها الرغبة بالإستماع إلى نصائح نيتشه : " إن ذاتكم تطمح إلى الزوال أيها المستهزئون بالأجساد ؛ فرغبتها بالزوال هو ما يدفع بكم إلى الاستهزاء بالأجساد ؛ إذ قد امتنع عليكم أن تخلقوا من هو أفضل منكم؛ إن هذا العجز قد ولد فيكم النقمة على الحياة والأرض ؛ وها هي ذي تتجلى في شهوة لحظاتكم المنحرفة دون أن تعلموا ؛ إنني لا أسير على طريقتكم أيها المستهزئون بالأجساد ؛ لإنني لا أرى فيكم **المعبر** الذي يؤدي إلى مطلع **الإنسان الأعلى** ."[٥٧]

ويعد ترجيح الجسد على الروح من أهم الإنقلابات التي حصلت في القيم عند نيتشة ؛ ضمن سلسلة من الثنائيات التي طالها ذلك الإنقلاب ؛ فليست الروح عند نيتشه إلا " كلمة تقال "[٥٨]و تأتي خطورة ذلك الإنقلاب في تبرير **(العود الأبدي)** بوصفه إعادة للإنسان**(جسداً)** مع إمكانية تحققه علمياً (قانون حفظ الكتلة أو الطاقة)[٥٩] ؛ فهو أقرب للحقيقة(على فرض وجودها بحسب نيتشه)؛ من ميتافيزيقا عودة ما يسمى الروح بعد الموت؛ وكإنه بذلك يرد على أهم مقولات الفكر الديني(خلود الروح بعد فناء الجسد ومصير **الإنسان** روحاً في الجنة أو النار) ؛

ويندرج ذلك أيضاً في سياق تبشيره ب(ديانة جديدة) تتوفر على جميع أو أغلب المفاهيم الدينية ؛ فبدلًا من (**الله أو الانبياء**) تجد عند نيتشه (**الإنسان الأعلى**) وبدلًا من (**الروح**) تجد (**الجسد**) وبدلًا من (**الآخرة**) تجد (**الدنيا أو الطبيعة**) ؛ ودليله ؛ إننا نعيش على الأرض ولا نعرف أو لا يمكن البرهنة على غيرها؛ ولا نعرف غير الجسد؛ ولا مبرر لتقديس "وهم" الإله؛ فالإنسان هو من خلق هذا الوهم لرغبة دفعته في حينها إلى ذلك ؛ وعليه فإن (**الإنسان ؛ الجسد ؛ الأرض ؛ العود الأبدي.. إلخ**) مفاهيم بحسب نيتشه اقرب للحقيقة وأكثر جدوى(وفقًا لنظرية **اللعبة** التي يتبناها بكل قوة) ؛ من المفاهيم الميتافيزيقية القديمة من قبيل (**الله ؛ الروح ؛ الآخرة ؛ ..الخ**)؛ و(**إرادة القوة**) تمكن (**الإنسان الأعلى**) من التحرر بالاتجاه المطلوب بحسبه ؛ ولا عدمية في ذلك مع الإعتقاد بالعود الأبدي للإنسان(**جسدًا**) كما يعود كل شيء في الوجود أبداً .

و**الإنسان الأعلى** بحسب نيتشه هو الفيلسوف الذي تحقق فيه " شرط (الكبر) بمعنى قوة الإرادة والقدرة على إتخاذ قرارات طويلة الأمد ؛ إن الأكبر ينبغي أن يكون من يسعه أن يكون الأكثر توحدًا وخفاء ومغايرة ؛ من يسعه أن يكون إنساناً ما وراء الخير والشر ؛ سيداً على فضائله وطافحاً بالإرادة؛ ويستدرك نيتشه : هل الكبر ممكن اليوم ؟ "[٦٠].

وتشكيك نيتشه بوجود الكبر الذي هو شرط الفيلسوف كما يعبر ؛ يعني بالنتيجة : " تشكيكه بوجود فلاسفة في هذا العصر ضمناً "[٦١].

كما يعتقد بإن **الإنسان الأعلى** تحديداً وليس غيره ممن هو دونه ؛ من سوف يحظى بشرف **العود الأبدي** ؛ وعليه سوف يعود هو من جديد ويتكرر وجوده إلى ما لانهاية .

ويتهم نيتشة " كلًا من الكهنة والفلاسفة(لاسيما أفلاطون) بإنهم أجازوا لأنفسهم الكذب "[٦٢]:

فعند الكهنة ؛ هنالك ما يسميه ب " الكذب المقدس والذي يرتبط بغاية الفعل ؛ ومن خلاله تم خلق فكرة الخير والشر؛ لقد خلق الهاً يثيب ويعاقب وكثمن للإصلاح الأخلاقي تم تعطيل العقل وجعل كل الدوافع تنبع من الخوف والرجاء(العقاب والأجرة) ؛ حيث التبعية لوصاية كهنوتية تزعم أنها تعبر عن إرادة ربانية "[٦٣].

وفيما جمع الفلاسفة- كما يقول هيدجر- " بين الحقيقة والكينونة : فالكشف الأول عن كينونة الكائن على لسان بارمنيدس قد(طابق) الكينونة مع الفهم المدرك للكينونة؛ إنه لأمر واحد أن ندرك وأن نكون "[٦٤]؛ فإن نيتشة ذهب إلى أن " كلمة (وجود) لا تحدد إلا العلاقة الأكثر عمومية التي تربط كل الأشياء ؛ مثلها مثل كلمة(لا وجود)؛ لا تدفعنا نحو أرض الحقيقة : لا يمكن للذات إطلاقاً أن تدعي رؤية أو تميز شيء ما وراء ذاتها ؛ خاصة وان المعرفة والوجود هما الأكثر تناقضاً بين كل الدوائر "[٦٥].

وبتفكيك نيتشة لهذه المعادلة (**الأصلية**) ؛ ينتهي الوجود لديه إلى مجرد (**لعبة نرد**)؛ فهي الحقيقة التي يؤمن بها ويدعو لها؛ لذلك عقد مقارنة بين زرادشت(الذي كشفت له هذه الحقيقة) وبين رجل الدين(الشيخ) الذي يريد الهرب من الناس إلى الله ؛ وأجرى بينهما الحوار الآتي :

زارا : إنني أحب الناس.

الشيخ الحكيم : إنني ما طلبت العزلة واتجهت إلى الغاب إلا لاستغراقي في حبهم؛ أما الآن فقد حولت حبي إلى **الله** ؛ وما **الإنسان** في نظري إلا كائن ناقص ؛ فإذ ما أحببته قتلني حبه .

فأجاب زارا : ومن يصف لك الحب الآن ! ؛ إنني لا أقصد الناس إلا لأنفحهم بالهدايا ؛ ثم قال في نفسه (إنه لأمر جد مستغرب ؛ الا يسمع هذا الشيخ في غابة أن الإله قد مات ؟) "[٦٦].

ويعد هذا الإعلان الحدث الأهم في الفلسفة النيتشوية : **موت الإله** وولادة **الإنسان ... الإنسان الأعلى** ؛ ليكتمل الدين الذي يريد التبشير به على لسان زارا : (**الإنسان**

الأعلى) فيه هو **(الإله أو النبي)** بدلاً عن **الإله الميتافيزيقي** ؛ ذلك الإنسان الذي تجاوز-بحسب نيتشه- كل القيود والأكاذيب الدينية والفلسفية ؛ الإنسان الذي يعرف مصيره وماذا يريد ؛ الإنسان المتجاوز للقيم الكلاسيكية؛ و(الأرض / الطبيعة) جنته التي يعيش فيها خالدًا بفعل التكرار الأبدي (مقابل الدار الآخرة في الأديان السماوية وعالم المثل الأفلاطوني) ؛ وتعاليم زارا بالنتيجة بدلاً من (زيف الشرائع السماوية وأكاذيب الفلاسفة) وكل ما في الوجود هو الصيرورة : " إنها دائماً حجارة **النرد** نفسها؛ ولكنها؛ بوقوعها تارةً بهذه الطريقة وطوراً بطريقة أخرى ؛ تكتسب بالنسبة إلينا معنى مختلفاً؛ هنالك جواهر لا حصر لها؛ ولكنها لا تتزايد أبداً ؛ ولا تنقص ؛ كما وأنها لا تتجدد؛ وحدها الحركة تمزجها في تشكيلات جديدة أبدًا كما في لعبة النرد "[٦٧]...

ثالثا:الرد التفكيكي على فلسفة المطرقة :

١. أعلن نيتشة بأنه (الطبيب النفسي) الذي من واجبه وضع ؛ (العلاج الضروري) ؛ لما تعانيه البشرية من أمراض نفسية بحسب وصفه ؛ وهو (عبوة الديناميت) التي سوف تدمر ما ترسب من أيديولوجيات مسمومة ترسخت في عقول البشر أدت بهم إلى كراهية الحياة ؛ وذلك من خلال (فلسفة المطرقة) كاداة لتفكيك هذه المنظومات (التشكيك بها أولًا ثم القضاء عليها لاحقاً)؛ فهو (الإنسان الأعلى) الذي يحق له أن يضع التفسيرات الأقرب للحقيقة وليس من يصفهم ب (المرضى وأعداء الحياة) ؛ من غير أن يثبت مزاعمه بغير الإنشاء الذي أورده في مؤلفاته المختلفة ؛ واستدلالات يمكن تفكيكها ودحضها من خلال إخضاعها لمطرقته هو قبل غيرها ؛ وعلى ذلك جاز لنا على منطقة القول بإنه هو (المريض نفسياً) وليس البشرية كما يفترض.

٢. نيتشة بمحاولته (هدم) القيم السائدة ؛ بشر بقيم أخرى مغايرة (قلب الثنائيات) ؛ هي أقرب-بحسب اعتقاده- إلى العلم التجريبي و الحقيقة (على فرض

وجودها كما يقول) ؛ولكنه بذلك ؛ بقي أسيراً لضرورة وجود (قيم) ما؛ يجب أن نخضع لها أو نؤمن بوجودها ؛ عنصر المفارقة في كون مفهوم القيم نفسه سيكون من أهم ضحايا التدمير الذي بشر به ؛ فهو مفهوم ميتافيزيقي لا يجد ما يسوغ مكانته التأريخية وفقًا لفلسفة المطرقة ؛التي بشر بها .!!

٣. ملخص فلسفة نيتشة ؛ ان الإنسان هو (الجسد المادي) بالدرجة الأساس ؛ وهو الذات الحقيقية؛ وليس الروح كما تزعم الفلسفات المثالية أو الأديان السماوية ؛ وذلك الجسد (الإنسان) سوف يعود من جديد في تكرار لامتناهي ؛ (وهو ترجمة حرفية لقانون حفظ الكتلة او الطاقة : الكتلة لا تستنفذ ولا تستحدث ولكن تتحول من شكل إلى آخر)؛ علمًا أن (الإنسان الأعلى) وحده من سوف يحظى بهذا الشرف دون غيره من البشر ؛ ولا ندري ما الفرق بين جسد هذا الإنسان وذاك إن كان الأمر مرتبط بالمادة كما يعبر ؛ ولا نعلم الدليل العلمي الذي استند إليه نيتشة في هذا الزعم ؟؛ ومقولة نيتشة (العود الأبدي) لا تقل ميتافيزيقية عن ما بشرت به الأديان السماوية في البعث والنشور أو الفلسفات والأديان الوضعية في تناسخ الأرواح وعالم المثل ونحو ذلك وهذه مفارقة أخرى وقع فيها نيتشة .!

٤. استعمل نيتشة أسلوباً إنجيلياً في التبشير بفلسفته لاسيما قضية (الإنسان الأعلى) ؛ حتى يعطي لنصوصه زخماً روحياً عند اتباعه ومريديه ؛ فهو بإعلانه (موت الإله) و (ولادة الإنسان الأعلى) ؛ أراد سلب القداسة من العالم ؛ وبتفكيكه لمنظومة القيم الأخلاقية من خلال الجينيالوجيا ؛ كان يريد أن يسلب العالم أخلاقيته أيضاً ؛ فإنسان ما وراء الخير والشر لا يجد في الموروث الإنساني (ديناً أو فلسفةً) ما يسوغه ؛ هي لحظة انمحاء كامل لكل ما كانت تعتقده البشرية منذ الأزل ؛ هو عود للأصل الحقيقي الأول : (الحالة الجنينية _ ما قبل الولادة حتى) ؛ فإذ ما تم ذلك أخذت تعاليمه التي بشر بها الحيز الذي كانت تشغله الأديان والفلسفات في التاريخ ؛ أراد نيتشة إعادة كتابة التاريخ ؛ متأثرًا بالمهة التي أوكلتها الماركسية للفلسفة : (عدم

الاكتفاء بتأويل التاريخ وإنما العمل على تغييره) ؛ مقتصراً في نقده على المسيحية دون غيرها من الأديان السماوية وعلى الأفلاطونية دون غيرها من الفلسفات ؛ ولم يقدم الدليل (عقليًا كان أم تجريبيًا) على ما أعلن من فكر ؛ غير انتقاد الفكر أعلاه والتمجيد بما يطرحه هو والتبشير به ؛ ومع ذلك وجدت تعاليمه شهرة واسعة لاسيما عند الناقمين على الوضع بصورة عامة ؛ إذ وجدوا في نيتشة ذلك المخلص؛ وتحقق حلمه في أن يصبح كتابه هكذا تكلم زرادشت إنجيلًا وله أتباع ؛ ولا يعد ذلك دليلًا على صلاحه ؛ مع وجود الآف المعتقدات الساذجة ؛ التي وجدت لها ملايين المؤمنين.

٥. اعترف نيتشه بتأثير شوبنهاور عليه ؛ لاسيما كتابه (العالم إرادة وتمثل) ؛ ومنه إخترع أبرز المفاهيم عن أحقية الجسد وكونه يتمثل بالإرادة ؛ فيما صاغه عن عودة الإنسان متجسدًا في الجسد من خلال إرادة القوة.[٦٨]

٦. حثّ نيتشة على التمسك بالطبيعة و(تقديسها) بديلًا عن عالم المثل الأفلاطوني و العالم الآخر في الأديان السماوية ؛ من غير أن يبين ماهية هذه الطبيعة وصفاتها لاسيما (القدرة ؛ الإبداع ؛ الوعي ؛ الحكمة ؛ القدم ... والخ) فأغلب ما بشر به يستلزم اتصافها بهذه الصفات ؛ لاسيما العود الأبدي ووجود الوعي ؛ فكون الطبيعة مصدر الوجود فيلزم كونها قديمة وقادرة بالضرورة ؛ وكوننا كبشر نملك الوعي (إنسان نيتشة الأعلى على أقل تقدير) يستلزم أن يكون مصدره (الطبيعة) واعية ؛ وكوننا باقين إلى ما لانهاية (العود الأبدي) يستلزم أن الطبيعة باقية ووو ؛ ففاقد الشيء لا يعطيه ؛ فإن كانت (الطبية) التي يريد نيتشة التبشير بها بديلًا عن (الله في الأديان السماوية) : قديمة ؛ قادرة ؛ خالقة ؛ باقية ؛ واعية ... والخ ... فكإنما لم يفعل شيء بالحقيقة غير استبدال اسم (الله) باسم (الطبيعة) ؛ وفي حديثه عن (الإنسان الأعلى) بوصفه إنساناً تفوق على نفسه فهو بذلك لم يقدم شيء غير استبدال اسم (الأنبياء) ب (الإنسان الأعلى) مع الفارق . وعلى ذلك

النحو أغلب طروحات نيتشة بهذا الصدد .. ولا جديد غير تغيير الاسم والوظائف المطلوبة من المفاهيم المقترحة بما يتماهى مع فلسفته .

٧. تبنى نيتشة _من غير أن يعترف – ما أكدت عليه الفلسفة الماركسية ؛ حول ضرورة استثمار وتوظيف ما تتوصل إليه العلوم التجريبية من نتائج في الإطروحات الفلسفية ؛ ويأتي هذا في سياق "هيمنة العلم على العصر الحديث"[٦٩] ؛ " فباتت الفلسفات الجديدة تحاول تبرير ما تطرحه بالعلم الأمبريقي"[٧٠] ؛ إذ أصبح المعيار الأهم ربما لإعطاء هذه الفلسفات شرعيتها؛ فتأثر نيتشة بهذه الأجواء وحاول توظيف بعض القوانين العلمية لتبرير بعض طروحاته الفلسفية ؛ من قبيل (نظرية التطور وارتقاء الإنسان في ما يخص الإنسان الأعلى وإن أنكر تلك الصلة) و(قانون حفظ الكتلة لإثبات فكرة العود الأبدي للإنسان جسدًا وإن لم يشر إليه صراحة) ؛ وسبقه إلى ذلك فيورباخ ؛ الذي " كان معاصرًا لثلاثة اكتشافات فائقة الأهمية ؛ وهي : اكتشاف الخلية ؛ نظرية تحول الطاقة(الكتلة) ؛ ونظرية التطور المسماة باسم داروين؛ فكان فيورباخ يتتبع بدقة تقدم العلم حتى تمكن من تقدير هذه المكتشفات حق قدرها؛ نواةً للمادية التاريخية"[٧١] .

٨. أغلب الأفكار التي بشر بها نيتشة ؛ لاسيما موت الإله وولادة الإنسان الأعلى والعود الأبدي وإرادة القوة وتجاوز الأخلاق الكلاسيكية لم يستطع أن يثبتها وفقًا لمعايير فلسفته على الأقل؛ فضلًا عن معايير غيره من الفلاسفة ؛ فكان عليه أن يتوقف عند حدود التشكيك بما هو سائد من قيم واعتقادات وأن يتوقف عن إصدار حكم نهائي وحاسم في هذا الموضوع : (كما الارجاء في تفكيكية جاك دريدا) ؛ ولكنه أصر على طروحاته التي لا تصمد أمام المطرقة ذاتها؛ التي أعلن أنها قضت على الخرافة والميتافيزيقا بزعمه ؛ وهذا التناقض الأكبر ربما الذي سقط فيه ... ماذا لو أكد العجز عن إدراك الحقيقة؛ بدلًا عن ادعاء امتلاكها. ؟!

٩. عالم تجاوز القيم الأخلاقية التقليدية ومجرد من القداسة ولا غاية له ؛ هو تصور يستلزم أن لا رادع لمن يعتقد به؛ بإن يحول بينه وبين ارتكاب الفظائع ؛ وهذا ما حصل عند من تبنى طروحات نيتشة في المانيا النازية مثلًا ؛ وهو التصور الذي على أساسه ارتكبت أكثر الجرائم (فردية كانت أم جماعية) على امتداد التأريخ ... كل التاريخ ؛ لا يمكن أن نقبل بهكذا فهم للعالم؛ لأن نتائجه سوف تكون أكثر كارثية مما هو حاصل بالفعل ؛ علينا أن نبحث عن فكر أخلاقي يلزم البشرية بقيم الفضيلة والتعايش السلمي والمساواة والقبول بالآخر المختلف ؛ لا أن نحرض على الطبقية ووصف بعض البشر بالقردة والديدان ونعطي لبعضهم الآخر إمتياز وحق الحياة والبقاء حصرًا دون غيرهم ؛ الأرتقاء يجب أن يكون بتعزيز القيم الإيجابية لا بتدميرها كما يبشر نيتشة .!

الخاتمة :

طروحات نيتشة التي تناولها البحث ؛ قد تندرج ضمن اطار ردود افعال الكثير من الفلاسفة والمفكرين على ما يعتقدون بانه كوارث قد ضج بها العالم ؛ وغالبًا ما اتخذت اراء المفكرين بهذا الخصوص الجانب المعاكس لما هو سائد ؛ ظنًا منهم ان استبدال القيم التقليدية باخرى مغايرة قد يعطي نتائج معاكسة منطقيًا ؛ غير ان الخلل قد يكون في عدم التزام البشرية بالقيم النظرية السائدة ؛ فالإنسان والحال هذه هو المشكلة وليس القيم ؛ وعلينا ان نبحث في اصلاح انفسنا اولًا قبل التفكير بتغيير العالم ؛ فالعالم هو ما نريده نحن ان يكون .الانسان الأعلى حقيقة هو من يبحث ويسعى للتكامل لا من يتجاوز قيم الخير والشر كما يفترض نيتشة ؛ القضية اعقد من تفكيك الفلسفة الافلاطونية أو الديانة المسيحية ؛ الأمر مرتبط بعوامل لا عد لها ولا حصر تكون شخصية الإنسان بالنتيجة .

الهوامش والمصادر

[١] ينظر : نيتشه ؛ فريدريك؛ ما وراء الخير والشر ؛ ترجمة : جيزيلا فالور حجار؛ دار الفارابي؛ بيروت ؛ ٢٠٠٣ ؛ ص٥٦ .

[٢] ذلك أن نيتشه نفسه أراد أن يفهمه أناس بعينهم دون غيرهم عن قصد ؛ فهو اختار مستمعيه كما يقول " حين نكتب لا نحرص فقط على أن نفهم ؛ لكن أيضًا على الا نفهم . لو أن شخصًا كائنًا من كان حكم على كتاب ما بانه غير مفهوم فليس ذلك إعتراضًا كافيًا عليه إطلاقًا : فلربما كان هذا داخلًا ضمن نوايا المؤلف ؛ – فهو لم يرد أن يفهم من طرف (أي كان) . كل عقل ؛ كل ذوق رفيع يختار مستمعيه حين يريد أن يتواصل ؛ وبذلك نفسه يرسم حدًّا للـــ (آخرين) "....

ينظر : نيتشه ؛ فريدريك؛ العلم المرح ؛ ترجمة : حسان بورقية ومحمد الناجي ؛ أفريقيا الشرق؛ المغرب ؛٢٠٠٠؛ ص٢٤٧.

[٣] ينظر : نيتشه ؛ فريدريك ؛ هكذا تكلم زرادشت ؛ ترجمة : فليكس فارس ؛ دار القلم؛ بيروت ؛ ص١١٣.

[٤] ينظر : نيتشه ؛ فريدريك؛ غسق الاوثان؛ ترجمة :علي مصباح؛ منشورات الجمل؛ بيروت؛ ٢٠١٠ ؛ ص١٠٨.

وينظر: نيتشه؛ فريدريك؛ قضية فاغنر ؛ ترجمة :علي مصباح ؛ منشورات الجمل؛ بيروت؛٢٠١٦ ؛ ص١٢٤.

وينظر: نيتشه؛ فريدريك؛ هذا هو الانسان ؛ ترجمة :علي مصباح ؛ ط٢؛ منشورات الجمل ؛ بيروت ؛ ٢٠٠٦ ؛ ص٧٤.

حيث يقول (ان تدرك من خلال كتاباتي انك بحضرة خبير نفساني ؛ خبير نفساني ليس له من مثيل ؛ فتلك على أغلب الظن هي أولى قناعة ينبغي أن يتوصل إليها قارئ جيد ...)..

ويصف نيتشه المسيحية بالمرض الذي ينبغي علاجه ؛ يقول " المسيحية هي أول من قدم للعالم رسما" لصورة الشيطان ؛ وهي أول من أدخل الخطيئة في عالم الناس . وشيئا" فشيئا " تزعزع حتى أعمق جذوره الايمان بالعلاجات التي كانت تقدمها ضد الخطيئة : وما يستمر الآن هو الإيمان بال**مرض** الذي تعلمه هذه المسيحية وتنشره " .. ينظر : نيتشه ؛ فريدريك ؛ إنسان مفرط في انسانيته ؛ ج٢ ؛ ترجمة: محمد الناجي؛ أفريقيا الشرق ؛ المغرب ؛٢٠٠١ ؛ ص١٤٥.

[٥] ينظر: نيتشه ؛ فريدريك؛ نقيض المسيح ؛ ترجمة : علي مصباح ؛ منشورات الجمل ؛ بيروت ؛ ٢٠١١؛ ص ١١٧ .

[٦] ينظر: نيتشه؛ فريدريك ؛ إرادة القوة ؛ ترجمة: محمد الناجي ؛ أفريقيا الشرق ؛ الدار البيضاء ؛ ٢٠١١؛ ص٢٥٨.

[٧] ينظر: المصدر السابق ؛ ص١٨٧.

[٨] ينظر: نيتشه ؛ فريدريك :الفلسفة في العصر الماسأوي الإغريقي ؛ ترجمة : د.سهيل القش ؛ ط٢؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ؛ بيروت ؛ ١٩٨٣؛ ص٤٣ .

[٩] ينظر : نيتشه ؛ فريدريك؛ شوبنهاور مربيا"؛ ترجمة : قحطان جاسم؛ دار أوما؛ بغداد؛ ٢٠١٦؛ الصفحتان ٤٦ و٤٧.

[١٠] المصدر السابق ؛ ص٤٣.

[١١] نيتشه : إرادة القوة ؛ ص١٧٧

[١٢] نيتشه ؛ فردريك ؛ غسق الأوثان ؛ ص ٢٥

[١٣] نيتشه ؛ فردريك ؛ هذا هو الإنسان ؛ترجمة علي مصباح؛ط٢؛ منشورات الجمل؛ بغداد ؛٢٠٠٦ ؛ ص٨١.

[١٤] نيتشه ؛ العلم المرح ؛ ص٢٠٠ .

[١٥] نيتشه : غسق الأوثان ؛ ص٣١ .

[١٦] ينظر؛ افلاطون : محاورة كراتيليوس ؛ ترجمة : عزمي طه السيد ؛ وزارة الثقافة الاردنية؛ عمان؛ ١٩٩٥؛ ص١٣٦ .

[١٧] ينظر : نيتشه : هذا هو الانسان ؛ ص٨١ .

[١٨] ينظر: نيتشه ؛ غسق الاوثان ؛ ص١٧٨ .

[١٩] ينظر: المصدر السابق ؛ ص ١٧٩ .

[٢٠] نيتشه : العلم المرح ؛ ص٢٣٨ .

[٢١] نيتشه : غسق الاوثان ؛ ص٣١ .

[٢٢] ينظر: نيتشه : العلم المرح ؛ ص١٨١ .

[٢٣] ينظر: نيتشه : هكذا تكلم زرادشت ؛ ص٥٨ .

[٢٤] ينظر: المصدر السابق ؛ ص ٥٧ .

[٢٥] ينظر: المصدر السابق ؛ ص١٠٢ .

[٢٦] افلاطون ؛ محاورة القوانين ؛ من ص ٤٦٥ إلى ص ٤٦٦ .

وينظر : افلاطون؛ جمهورية افلاطون ؛ ترجمة : د.فؤاد زكريا ؛ دار الوفاء ؛ الاسكندرية ؛ ٢٠٠٣؛ ص٤٩٥ .

[٢٧] نيتشه : إرادة القوة ؛ ص١٩٧

[٢٨] ينظر: المصدر السابق ؛ ص٢١٣

[٢٩] وموقف نيتشه بهذا الصدد يتماهى مع موقف فيلسوف الماني آخر؛ سبقه بهذا التوجه هو (فيورباخ)حيث يقول؛ " الإيمان بحياة أخرى غير معروفة ؛ بل بالحقيقة واللانهائية ؛ ونتيجة لذلك الأزلية ؛ لتلك الحياة التي تعد بالفعل هنا في هذه الدنيا الحياة الموثوقة ." ينظر : فيورباخ ؛ لودفيغ ؛ جوهر المسيحية ؛ ترجمة جورج برشين؛ ط٢؛ دار الرافدين؛بيروت؛ ٢٠١٧؛ الصفحتان : (٢٧٠) و (٢٧١) .

[٣٠] نيتشه : العلم المرح ؛ ص٨٩.

[٣١] العود الأبدي يصلح أن يكون هذه المطرقة التي يراد منها تحطيم هذه القيم والتوجه نحو استبدالها بقيم أخرى مغايرة لها.

[٣٢] ينظر: نيتشه؛الفلسفة في العصر الإغريقي ؛ ص٧٥.

[٣٣] ينظر : نيتشه ؛هكذا تكلم زارا ؛ ص ١٠٢.

[٣٤] ينظر : نيتشه ؛ هكذا تكلم زرادشت ؛ ص٨٥.

[٣٥] افلاطون ؛ محاورة كراتيليوس ؛ مصدر سابق.

[٣٦] نيتشه ؛ فريدريك ؛ الفجر ؛ ترجمة : محمد الناجي ؛ افريقيا الشرق؛ الدار البيضاء ؛ ٢٠١٣؛ ص١١ .

[٣٧] ينظر: نيتشه ؛ العلم المرح ؛ ص٢٤٢

[٣٨] ينظر: نيتشه ؛ ما وراء الخير والشر ؛ من ص٨٩ إلى ص٩٠.

[٣٩] نيتشه ؛ فريدريك ؛جينيالوجيا الأخلاق ؛ ترجمة : فتحي المسكيني ؛ المركز الوطني للترجمة ؛ تونس ؛ ٢٠١٠؛ ص ٤١ .

[٤٠] نيتشه : العلم المرح : ص٢٠٨ .

[٤١] المصدر السابق ؛ ص٨٩ .

[٤٢] اختلف المترجمون في ترجمة المصطلح ؛ فبعضهم ترجمه بالمتفوق أو المتعالي أو الراقي ولكننا نعتقد بأن الترجمة الأدق و الأقرب إلى ما يريده نيتشه في هذا الصدد هو الإنسان الأعلى .

[٤٣] يقول نيتشه : ما الإنسان إلا حبل منصوب بين الحيوان والإنسان (الأعلى) ؛ نيتشه ؛ هكذا تكلم زرادشت ؛ ص٣٤.

[٤٤] ينظر ؛ نيتشه ؛ هكذا تكلم زرادشت ؛ ص٣٣ .

[٤٥] ينظر ؛ نيتشه ؛ ما وراء الخير والشر ؛ ص ١٧٥ .

[٤٦] ينظر ؛ نيتشه ؛هكذا تكلم زرادشت ؛ ص٣٥.

[٤٧] ينظر ؛ المصدر السابق ؛ ص١١٤.

[٤٨] ينظر ؛ المصدر السابق ؛ ص١١١.

[٤٩] ينظر ؛ نيتشه ؛ هكذا تكلم زرادشت : ص٣٥.

[٥٠] (إشارة واضحة إلى نظرية التطور لدارون وإن رفض تفسير مقولة الإنسان الأعلى وفقًا لها)

[٥١] ينظر ؛ نيتشه ؛ هكذا تكلم زرادشت ؛ ص٣٢ . وهو بهذا يخالف استاذه هيرقليطس ؛ الذي كان يقول(إن اجمل قرد قبيح إذا ما قورن بالإنسان) فلإنسان عنده كائن جمالي تكوينًا ... ينظر: هيرقليطس؛ جدل الحب والحرب؛ ترجمة : مجاهد عبد المنعم ؛ مركز الإنماء الحضاري؛ دمشق؛ ٢٠٠٩؛ ص٣٣.

[٥٢] ينظر ؛ نيتشه ؛ إرادة القوة ؛ ص٣٠٠ .

[٥٣] ينظر ؛ نيتشه ؛ غسق الاوثان ؛ ص١٤٦ .

[٥٤] ينظر ؛ نيتشه ؛ هكذا تكلم زرادشت ؛ ص٦١

[٥٥] ينظر ؛ المصدر السابق ؛ ص٨٠ .

[٥٦] ينظر ؛ المصدر السابق ؛ ص٥٧ .

[٥٧] ينظر ؛ المصدر السابق ؛ ص٥٩ .

[٥٨] ينظر : نيتشه ؛ فريدريك ؛ ديوان نيتشه ؛ ترجمة : محمد بن صالح ؛ منشورات الجمل ؛ بيروت ؛ ٢٠٠٥ ؛ ص١٤٠.

[٥٩] وينص على ان الكتلة/ الطاقة ؛ لا تستنفذ ولكن تتحول من شكل الى اخر .

[٦٠] ينظر : نيتشه : ما وراء الخير والشر ؛ من ص١٧٤ إلى ص١٧٥ .

[٦١] ينظر المصدر السابق ؛ ص١٧٤ .

[٦٢] ينظر إرادة القوة ؛ ص٨٢ .

[٦٣] المصدر السابق ص٨٣ .

[٦٤] ينظر ؛ هيدجر؛ مارتن ؛ الكينونة والزمان ؛ ترجمة : فتحي المسكيني ؛ ط٢ ؛ دار الكتاب الجديد المتحدة ؛ بيروت ؛ ٢٠١٣ ؛ ص٣٤٩ .

[٦٥] ينظر نيتشه ؛ الفلسفة في العصر الإغريقي : ص٧٥ .

[٦٦] ينظر نيتشة ؛ هكذا تكلم زرادشت ؛ من ص٣١ إلى ص٣٣ .

[٦٧] ينظر : نيشة : الفلسفة في العصر الإغريقي : ص٨١ .

[٦٨] يقول شوبنهاور (اجسامنا هي اكثر الاشياء حقيقة بالنسبة لكل منا؛ ولكن اذا ما حللنا الان حقيقة هذا الجسم وافعاله؛ بمناى عن كونه تمثلًا لنا؛ فلن نجد عندئذ شيئًا فيه سوى الارادة بل ان حقيقته تستنفذ في هذه الارادة)؛ شوبنهاور ؛ العالم كإرادة وتمثل ؛ ص٢٠٢.

[٦٩] قام أوغست كونت (فيلسوف وعالم اجتماع) بتقسيم التاريخ إلى عدة مراحل ؛ الأولى (عصر اللاهوت والاساطير) والثانية : (عصر الفلسفة أو الميتافيزيقا) ؛ الثالثة : (عصر العلم حيث نعيش)

[٧٠] وصفت الكثير من الفلسفات الحديثة نفسها بالعلمية ؛ كالماركسية؛ البراجماتية ؛البنيوية ؛الوضعية المنطقية ؛الوجودية والظاهراتية والخ.

[٧١] ينظر : انجليس ؛ فريدريك ؛ لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية؛ دار التقدم ؛ موسكو ؛ ١٩٦٧؛ ص٢٩.

قائمة المصادر والمراجع

١- نيتشه ؛ فريدريك ؛ هكذا تكلم زرادشت ؛ ترجمة : فليكس فارس ؛ دار القلم؛ بيروت ؛ بدون تاريخ.

٢- نيتشه ؛ فريدريك؛ ما وراء الخير والشر ؛ ترجمة: جيزيلا فالور حجار؛ دار الفارابي؛ بيروت؛ ٢٠٠٣.

٣- نيتشه؛ فريدريك ؛ إرادة القوة ؛ ترجمة: محمد الناجي ؛ أفريقيا الشرق ؛ الدار البيضاء ؛ ٢٠١١.

٤- نيتشه ؛ فريدريك؛ العلم المرح؛ ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي ؛ أفريقيا الشرق؛المغرب؛ ٢٠٠٠

٥- نيتشه ؛ فريدريك؛ غسق الاوثان؛ ترجمة :علي مصباح؛ منشورات الجمل؛ بيروت؛ ٢٠١٠ .

٦- نيتشه؛ فريدريك؛ هذا هو الانسان ؛ ترجمة :علي مصباح ؛ ط٢؛ منشورات الجمل ؛ بيروت ؛ ٢٠٠٦

٧- نيتشه ؛ فريدريك :الفلسفة في العصر الماسأوي الإغريقي ؛ ترجمة : د.سهيل القش ؛ ط٢؛ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ؛ بيروت ؛ ١٩٨٣.

٨- نيتشه ؛ فريدريك ؛ الفجر ؛ ترجمة : محمد الناجي ؛ افريقيا الشرق؛ الدار البيضاء ؛ ٢٠١٣.

٩- نيتشه ؛ فريدريك؛ نقيض المسيح ؛ ترجمة : علي مصباح ؛ منشورات الجمل ؛ بيروت ؛ ٢٠١١ .

١٠- نيتشه ؛ فريدريك ؛جينيالوجيا الأخلاق ؛ ترجمة : فتحي المسكيني ؛ المركز الوطني للترجمة؛ تونس ؛ ٢٠١٠

١١- : نيتشه ؛ فريدريك ؛ إنسان مفرط في انسانيته ؛ ج٢ ؛ ترجمة: محمد الناجي؛ أفريقيا الشرق ؛ المغرب ؛٢٠٠١.

١٢- نيتشه ؛ فريدريك؛ شوبنهاور مربيًا؛ ترجمة : قحطان جاسم؛ دار أوما؛ بغداد؛ ٢٠١٦.

١٣- نيتشه ؛ فريدريك ؛ ديوان نيتشه ؛ ترجمة : محمد بن صالح ؛ منشورات الجمل ؛ بيروت ؛ ٢٠٠٥.

١٤- نيتشه؛ فريدريك؛ قضية فاغنر ؛ ترجمة :علي مصباح ؛ منشورات الجمل؛ بيروت؛٢٠١٦.

١٥- افلاطون : محاورة كراتيليوس ؛ ترجمة : عزمي طه السيد ؛ وزارة الثقافة الاردنية؛ عمان؛ ١٩٩٥.

١٦- افلاطون؛ جمهورية افلاطون ؛ ترجمة : د.فؤاد زكريا ؛ دار الوفاء ؛ الاسكندرية ؛ ٢٠٠٣.

١٧- هيرقليطس؛ جدل الحب والحرب؛ ترجمة : مجاهد عبد المنعم ؛ مركز الإنماء الحضاري؛ دمشق؛ ٢٠٠٩.

١٨- فيورباخ ؛ لودفيغ ؛ جوهر المسيحية ؛ ترجمة جورج برشين؛ ط٢ ؛ دار الرافدين؛ بيروت؛ ٢٠١٧.

١٩- هيدجر؛ مارتن ؛ الكينونة والزمان ؛ ترجمة : فتحي المسكيني ؛ ط٢ ؛ دار الكتاب الجديد المتحدة ؛ بيروت ؛ ٢٠١٣ .

٢٠- شوبنهاور ؛ آرتور ؛ العالم كإرادة وتمثل ؛ ترجمة : سعيد توفيق ؛ ط١؛ المشروع القومي للترجمة ؛ القاهرة ؛ ٢٠٠٦.

٢١- انجليس ؛ فريدريك ؛ لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية؛ دار التقدم ؛ موسكو ؛ ١٩٦٧.